# مطعم فيصل

بسام أبو غزالة*

أكنّا صغيرين يومَ التقينا بمطعمِ فيصلْ؟**

طَلَبْنا نبيذاً بأبريقِ شاي،

فصاحَ الغلامُ:

«نبيذاً بأبريقِ شايٍ لأهلِ الهوى!»

وحمْلقَ فينا التلاميذ:

هذي توشوشُ أصحابَها،

وذلكَ يسألْ.

ومن فمكَ العذبِ فاضَ الكلامُ

وعطرُ القرَنفلْ.

تظنّينَ أنّي مُصْغٍ،

وما كنتِ تدرينَ أنّي

تَخَدَّرَ سمعي بعطرِ القرنفلْ!

❖

أكنّا بمطعمِ فيصلَ نَحْسو نبيذا

أم أنّ النبيذَ احتسانا؟

وفي الدنِّ صبَّ هوانا

وعتّقه في كهوفِ الرطوبةِ

في ظلمةِ العمرِ

نجمًا تلالا

وطيفًا تسلّلْ.

وحينَ تردُّ عيوني الغيومُ

وأسلو على عتباتِ التأمّلْ،

يعودُ النبيذُ بأبريقِ شايٍ بمطعمِ فيصلْ،

تعودُ عيونُ التلاميذِ تفرسُ وجهي

فأحسو نبيذيَ وحدي وأثملْ،

وأرضى بطيفٍ حَيِيٍّ تسلَّلْ.

فوا لارتطامي على صخرةِ العمرِ،

وا لعبيرِ القرنفلْ،

ووا لزمانٍ تبدَّلْ!

❖

صغيرَيْن كنّا،

ومرّتْ على جبهتَيْنا السنونْ

تدبُّ وتَطْبعُ آثارَها

وأسمعُ في هدأةِ الليلِ صوتَ الحمامِ الحزينْ

فأصحو، أحدِّق في ليليَ المستكينْ

ولا شيءَ، لا شيءَ، إلا الخواءْ

خواءٌ يُعشِّشُ فيه الهباءْ.

فوا لارتطامِ الحنينِ على أحجياتِ السنينْ،

ووا لزمانٍ تبدّلْ!

❖

غزا الشيْبُ رأسي،

فهل نالَ منكِ الذي نالَ مني؟

وهل غاضَ دنُّكِ إذ غاضَ دنّي؟

فلم يبقَ لي من نبيذٍ سوى رشفتَيْنِ

تجيئانِ بالوهمِ يحملُ عيني

إلى أفقٍ فوقَ بحرِ التمنّي،

أغوصُ إلى قعرِه كلَّ يومٍ،

فأخرجُ صِفْرَ اليدَيْنِ

وأُغضي أسائلُ نفسي

فما تنطفي نارُ نفسي.

فوا لنبيذٍ بأبريقِ شايٍ بمطعمِ فيصلْ،

ووا لزمانٍ تبدّلْ،

ورسمٍ على رملِ عمرٍ ترهّلْ!

عمّان

---

* - كاتب فلسطيني.

** - كان أشهرَ مطعمٍ أمام الجامعة الأميركية في بيروت، حتى قيل في الدلالةِ على موقعِ الجامعة «إنّها تلك التي تقعُ أمام مطعمِ فيصل.» كانت تؤمُّ هذا المطعمَ زمرُ تلاميذِ الجامعةِ وأصحابُ الفكرِ من أهل بيروتَ وزوّارها لكنّ الحربَ الأهليةَ التهمتْه فيما التهمتْ من بيروتَ العتيقة وبعد الحرب انقضَّ على أطلاله مطعمٌ أمريكيٌ للوجباتِ السريعة، سَلَبَ منه ذكرياتِ اليتامى من أمثالي!